



إن من تأمل كتاب الله عز وجل وتدبر آياته البينات وجد موضوعها الأساس هو توحيد الله عز وجل والأمر بعبادته وحده، وذكر ما أعده الله عز وجل للموحدين من عباده من النعيم المقيم، وما أعده للمشركين أعداء توحيده من النكال والعقاب الأليم، وضمنه ما شرعه لعباده من الشرع الحكيم الذي يحققون به عبادة الله عز وجل واستسلامهم له وإسلامهم لحكمه.

وهذه هي حقيقة الإيمان وحقيقة الإسلام الذي هو دين الرسل جميعاً، الذين دعوا إلى إسلام الوجه لله عز وجل بعبادته وحده والتسليم لأمره وحكمه؛ حيث إن العبودية الصادقة لا تتحقق إلا بالإسلام والتسليم والانقياد لله رب العالمين.

وقد وردت في كتاب الله عز وجل نصوص كثيرة مبينة لمعنى هذا الإسلام والتسليم وفضل أهله، منها قوله تعالى: {إِنَّمَا مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ} [آل عمران: 112]، وقوله عز وجل: {وَمَنْ أَحْسَنَ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَنَّدَ اللَّهَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا} [آل عمران: 125]، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} [آل عمران: 122]، وقال عن خليله إبراهيم إمام الحنفاء عليه الصلاة والسلام: {وَمَنْ يَرْغَبُ عَنِ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفَهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْنَطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ} 130 إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلَمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ 131 وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِي إِنَّ اللَّهَ

اصطَفَ لِكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُمُ مُسْلِمُونَ》 [البقرة: 130 – 132]، ومن ذلك قوله تعالى: {بِاَيْهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَمِ كَافَةً وَلَا تَرْتَعِدُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ》 [البقرة: 208]، وقد وصف الله عز وجل من امتلاً قلبه بالإيمان والتسليم لله تعالى بأنه ذو «قلب سليم» جاء ذلك في ثنائه سبحانه على خليله إبراهيم # بقوله: {وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لِإِبْرَاهِيمَ 83 إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الصافات: 83، 84] كما جاء ذلك في دعاء الخليل عليه السلام لربه بقوله: {وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبَعَثُونَ 87 يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ 88 إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ} [الشعراء: 87 – 89]، لذا فإن التربية الإيمانية على محبة الله عز وجل وتعظيمه ورجائه والخوف منه والتسليم لأمره ونهيه وحبه لتأتي اليوم على رأس الأولويات والواجبات التي ينبغي للمربيين أن يعتنوا بها، وذلك للأمور التالية:

الأمر الأول:

وجوب بيان معنى الإيمان والإسلام الحقيقي لله تعالى المنجي عند الله عز وجل من سخطه وعذابه الذي يبعث به الأنبياء والرسل وجعله الغاية من خلق التقلين، وأنه ليس بمجرد الانتساب للإسلام والهوية الإسلامية أو فعل بعض الواجبات وترك بعض المحرمات فحسب وإنما هو إسلام النفس لله تعالى بعبادته وحده لا شريك وإخلاص التوحيد له سبحانه وإنفراحه بالمحبة والخوف والرجاء وسلامة القلب من كل شبهة تعارض الخبر، ومن كل شهوة تعارض الشرع والأمر، ومن كل اعتراض يعارض القضاء والقدر، وبيان أن هذه هي مواصفات القلب السليم المستسلم لربه سبحانه الراجي لرضوانه وبأن سلامة القلب ليست مجرد ما يفهمه كثير من الناس بأنه القلب السالم من الحقد والحسد والغل، حيث يقصرون وصفه على ذلك فحسب؛ بل هو أكبر وأشمل من هذا الفهم القاصر بكثير. لذا فإن بيان هذا الأصل العظيم من أوجب الواجبات وأهم المهمات، فعليه يقوم بناء الدين وبه يتحقق الإيمان الذي يتمنى سعادة الدنيا والآخرة. وإنه لمن أكبر المصائب على العبد أن يخرج من هذه الدنيا وهو جاهل بهذا الأصل العظيم لم يذق له طعمًا.

ولا تظهر الحاجة بل الضرورة إلى هذا الأمر كما تظهر في واقعنا المعاصر لذا فإن التربية على هذه المعاني اليوم من أعظم الواجبات وأهم الضروريات، حيث يجب على العبد تفقد هذا الأمر في نفسه وتربيتها على التمسك به، وذلك لما ظهر في زماننا اليوم من قلة الوعز الديني الذي سببه ضعف تعظيم الله عز وجل في النفوس وقلة الخوف منه وتوقيره والحياء منه، مما كان له الأثر في الجرأة على المحرمات والاستهانة بالواجبات والجرأة على النصوص الشرعية المحكمة وردها وأصبحنا نرى تطفل كثير من الكتاب والمثقفين الجاهلين بعلوم الشرعية يتعاملون بأهواهم مع نصوص الكتاب والسنة كأي علم إنساني آخر ليس لها خصوصية التعظيم والتوقير، فالكل له الحق في الخوض في القضايا الشرعية وانتقاد المناهج الشرعية وعلماء الشريعة بحجة أن الدين ليس حكرًا على طائفة!! أو بقولهم لا ت quamidوا الدين في كل شيء، وقد تأثر بظروفاتهم هذه عدد ليس بالقليل من الناس.

وكل ذلك إنما نشأ من الهوى وضعف الإيمان بالله عز وجل فاطر السموات والأرض، والجهل بمعاني أسمائه الحسنى وصفاته العلا التي تثمر في النفوس التعظيم لله عز وجل والتسليم له وقبول شرعه والانقياد له محبة ويقيناً وخوفاً ورجاءً وقبولاً واستسلاماً؛ قال الله عز وجل عن نبيه نوح # وهو يدعو قومه: {مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا} [نوح: 13] لذا فإن التربية على هذا الأصل وإشاعة فهمه في الأمة لمن أكبر أسباب تقوية الإيمان والانقياد لأوامر الله عز وجل والاستسلام له.

الأمر الثاني:

ما ظهر في زماننا اليوم من ثورة هائلة في وسائل الإعلام والتواصل والاتصالات واستخدام هذه الوسائل من قبل أعداء هذا الدين من كفار ومنافقين في بث الشهوات وتسهيل الوصول إلى المحرمات وإثارة الشبهات والشكوك والاعتراضات على

ثوابت هذا الدين وأصوله وأحكامه، فتأسست من أجل ذلك موقع إلكترونية وقنوات فضائية ودور نشر تمكّر في الليل والنهار، فقسّمت القلوب بذلك ووافقت عند بعض أبناء المسلمين قلويًا خاوية من العلم والشرع والتقوى آلت ببعضهم إلى الحيرة والشك والعياذ بالله تعالى، فلا جرم كانت الحاجة بل الضرورة ماسة لرد الناس إلى الفهم الصحيح للإسلام والإيمان وتربيتهم عليه وأنه قائم على التسلیم لله عز وجل رب الناس ملك الناس العلیم الحکیم اللطیف الخبیر العظیم الكبير العلي الأعلى الرحمن الرحيم العلیم الخبیر القوی العزيز له الأسماء الحسنی. وهنا ينبغي التأکید على أن رد الشبهات المثارۃ حول هذا الدين وأحكامه لا يمكن بالوقوف عند الشبهة وردها مجردة وإنما يكون بالتربيۃ الإیمانیة، وذلك بربط القلوب بربها والاستسلام له والتسلیم لأمره وخبره وشرعه وما لم تتمكن هذه الأحوال من القلوب فلن تجدى مناقشة الشبهات والرد عليها مجردین عن هذا الأصل العظیم، فإذا تمكن في القلوب الإیمان والتسلیم الحق لله عز وجل وانقادت القلوب لبارئها وقوی يقینها بربها واستسلمت لأخباره فكلها صدق، وأحكامه فكلها عدل وفضل ورحمة قال سبحانه: **{وَتَمَتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلٌ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}** [الأتعام: 115]، صدق في الأخبار وعدل في الأحكام، فمتنی ما اتصفت القلوب بهذا التسلیم لم يكن للشبهات ولا الشهوتات عليها طريق وإن وردت فإنها ترد بهذا التسلیم وقوی الإیمان واليقین وبيان حکمة الله عز وجل فيما يشرع، وما لم تتبین الحکمة فيه فلقصور في العقول، وحينئذ يتلقى بالتصدیق والقبول والتسلیم كما قال الراسخون في العلم **{آمَنَّا بِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدِ رَبِّنَا}** [آل عمران: 7].

الأمر الثالث:

إن في طرح هذا الموضوع المهم ورد الناس إليه علاجاً لكثير من الأمراض القلبية والنفسية التي كثرت في الأزمنة المتأخرة، كالقلق والحيرة والاضطراب والاكتئاب، والتي مرد كثیر منها إلى ضعف الإیمان والركون إلى الدنيا ونسيان الآخرة مما نشأ عنه كثرة الاعتراضات التي تكون في القلوب، سواء على أخبار الله عز وجل الغيبة أو على أحكامه الشرعية أو على أقداره المؤلمة.

ولا سبيل لعلاجها إلا بمعرفة الله عز وجل حق المعرفة وتعظیمه وإجلاله والتعبد له سبحانه بأسمائه الحسنی وإقامته واعظ الله في القلوب والتسلیم للخالق العلیم الحکیم الذي هو على كل شيء قادر يعلم ولا نعلم ويقدر وهو علام العیوب **{أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ الْلَّطِيفُ الْخَبِيرُ}** [الملک: 14]، وبهذا التسلیم والتغییض والتغویض والتربيۃ الإیمانیة تحصل الراحة والسکينة والطمأنینة.

الأمر الرابع:

ظهور أقلام وأصوات لبعض المنافقين الذين يسمون أنفسهم بالليبراليين أو العلمانيين ومن تأثر بهم ممن يتسمى بالعصرانيين والتنويريين تدعوا إلى فصل الدين عن الحياة، وتزعم أن نصوص الوحي لم تعد صالحة لإدارة شؤون الحياة المعاصرة إلا بقراءة جديدة ومتطرفة، ويسمون من يدعوا إلى التسلیم لكتاب والسنة وتحکیمها في جميع شؤون الحياة بأصحاب الإسلام السياسي ويكيلون لهم شتم التهم المنفرة كالمتطرفين والإرهابيين والأصوليين؛ فكان لا بد من التصدي لهذه الدعوات الخبيثة. وذلك بالتربيۃ المکثفة على الإیمان والتسلیم لله تعالى ولشرعه حيث إن مثل هذه التربیة تعد من أقوى ما تواجه به هذه الدعوات الخبيثة. وأشد شيء يخشاه أصحاب هذه الدعوات أن يواجهوا بها السيف البشار سيف التسلیم والإسلام لله تعالى وتربيۃ الناس عليه والذي هو رکن التوحید والعبودیة لله عز وجل قال تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَکِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُو فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا}** [النساء: 65].

الأمر الخامس:

طغيان الحياة المادية والثورة الصناعية وطغيان العلوم التجريبية في حياة الناس مما كان له الأثر في إضعاف الإيمان بالغيب وغرور الإنسان بعقله والتركيز على الأمور المحسوسة ورد كل ما لا يدرك العقل كيفيته فكان لا بد من تدارك هذا المرض ببيان مكانة العقل وحدوده ودوره في تلقي النصوص وأثر الإيمان والتسليم في علاج مثل هذه الأمراض.

الأمر السادس:

ما نشهده اليوم من افتتاح كبير على متع الدنيا وزخرفها وزينتها، الذي لم يشهد له التاريخ مثيلاً، وما صاحب ذلك من وسائل دعائية ماكرة، تدعى الناس إلى بهجة الحياة الدنيا ومتاعها الزائل، وتلتحق الناس بكل جديد من وسائل الترف والمتعة والزينة، تدعى الناس إليها وتسهل الوصول إليها وترغب الناس فيها، والرکون إليها، وكأنهم مخلدون فيها فنسية الآخرة، وأصبح الناس في لهث وراء الدنيا والتکاثر فيها، ومتابعة الجديد منها في كل صباح ومساء، حتى أصبحت عند كثير من الناس غاية بتنافسون فيها ويتحاسدون. وأصبحنا نرى جلياً ذلك التفرق والتدابر الحاصل اليوم بين ذوي الأرحام والإخوان بل بين بعض الدعاة والمجاهدين والذي يمكن عزو كثير من أسبابه إلى هذه الدنيا، والتکاثر فيها، والغفلة عن الآخرة وضعف الإيمان واليقين والإخلاص، ولا علاج لذلك إلا بال التربية الإيمانية وإصلاح القلوب وإنشاء هم الآخرة في النفوس.

والحمد لله رب العالمين..

مجلة البيان العدد 336

المصادر: